موسوعة
أعلام
الموسيقى
العربية
٥

زكريا أحمد

الجزء الأول

إعداد
د. إيزيس فتح الله

دار الشروق


زكريا أحمد

الطبعة الأولى ٢٠١١

مكتبة الإسكندرية



مكتبة الإسكندرية
مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي
(بدعم من وزارة الاتصالات والمعلومات)
طريق مصر - الإسكندرية الصحراوي - الكيلو ٢٨، الجيزة، مصر
تليفون: ٣٥٣٤٣٢٢٢ (٢٠٢) - فاكس: ٣٥٣٩٢٩٢٩ (٢٠٢)
بريد إلكتروني: email: cultnat@mcit.gov.eg
موقع الإنترنت: www.cultnat.org

رقم الإيداع ٢٠١٠/٢٣٨١٥
ISBN 978-977-09-2953-2

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصري - مدينة نصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

موسوعة
أعلام
الموسيقى
العربية
٥

المشروع القومى للحفاظ على تراث الموسيقى العربية



زكريا أحمد

إعداد
د. إيزيس فتح الله

مدير المشروع
ياسمين ماهر عبد النور

الجزء الأول

دار الشروق

المحتويات

محتويات الجزء الثانى

تقـديم

إن تراثنا الثقافى والحضارى هو أعز ما نملك، وهو يمثل ذاكرة مصر ووجدانها، لذا يُعَدّ الحفاظ على هذا التراث وتوثيقه ونشره واجبًا وطنيًا وقوميًا فى المقام الأول.

وفى ظل تبنى الدولة فى الآونة الأخيرة خطة طموحة لاستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى شتى المجالات، تجسدت هذه الخطة فى إنشاء وزارة لأول مرة للاتصالات وتكنولوجيا المعلومات يكون من بين أهدافها رعاية استخدام هذه التكنولوجيا فى إقامة قواعد البيانات القومية. ومن هنا كان إنشاء مشروع «مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى»، وذلك بالتعاون مع الوزارات المعنية المختلفة مثل وزارات الثقافة والبيئة والسياحة. ثم انضم هذا المركز بقرار جمهورى عام ٢٠٠٢ إلى مكتبة الإسكندرية. ويقوم هذا المركز بتوثيق الجوانب المختلفة للتراث الحضارى والطبيعى بشقيه المادى مثل التراث الأثرى والمعمارى والمخطوطى، والمعنوى مثل الموسيقى والأدب والفنون والتراث الشعبى.

وفى هذا الإطار فقد تمَّ وضع خطة قومية لتوثيق التراث الموسيقى والذى يشمل بناء قواعد بيانات شاملة لأعمال الموسيقيين المصريين منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى نهاية القرن العشرين. وقد نتج عن إنشاء قواعد البيانات هذه إصدار سلسلة من الكتب عن أعلام الموسيقى العربية، صدر منها حتى الآن أربعة أجزاء: الأول عن أعمال كوكب الشرق «أم كلثوم» طبعة أولى وثانية، والثانى عن «سلامة حجازى»، والثالث عن «سيد درويش»، والرابع عن «محمد عبد الوهاب»، وينتظر أن يتم تباعًا إصدار أعمال باقى الموسيقيين بإذن الله.

يُعَدّ هذا الكتاب الطبعة الأولى من الكتاب الخامس عن أعمال «زكريا أحمد» فى سلسلة «موسوعة أعلام الموسيقى العربية» كجزء من المشروع القومى للحفاظ على تراث الموسيقى العربية والذى يقوم بتنفيذه مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى بالتعاون مع دار الشروق. ويهدف المشروع بصفة رئيسية إلى المحافظة على تراث الموسيقى العربية ومواكبتها لعناصر التطور والتقدم فى العصر الحديث، والاستعانة فى ذلك بنظم التكنولوجيا المعاصرة وبخاصة نظم المعلومات والوسائط المتعددة.

ويتم فى تنفيذ هذا المشروع إصدار أجزاء متتابعة على شكل موسوعة عن الموسيقيين العرب. يشتمل كل جزء منها على حصر بالأعمال الكاملة لكل موسيقى، بالإضافة إلى نبذة عن حياته وكذلك سرد لنصوص أغانيه، كل ذلك يكون مصحوبًا بأسطوانة عليها عينات من المؤلفات التى قام بها فى مراحل حياته المختلفة.

وإذا أردنا أن نتحدث عن التصور المستقبلى للموسيقى العربية، كان لزاما علينا الرجوع إلى الأعمال الفنية التى قام بها الرواد الأوائل والأعلام فى هذا المجال، ومن هنا كان التخطيط لإنشاء قاعدة بيانات للموسيقى العربية. تضم هذه القاعدة جميع الأعمال الموثقة لرواد وأعلام الموسيقى العربية فى الفترة من منتصف القرن التاسع عشر وحتى نهايات القرن العشرين والتى ازدهرت فيها الموسيقى العربية أيما ازدهار.

وتم تقسيم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: خاصة بالرواد الذين أثروا هذا الفن فى الفترة من منتصف القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين مثل أبو العلا محمد وسلامة حجازى وسيد درويش.

المرحلة الثانية: هى مرحلة الأعلام، تلك التى أخذت وتعلَّمت على أيدى هؤلاء الرواد، ثم انطلقت فى عالم الإبتكار والخلق والإبداع، وقد استمرت هذه المرحلة حتى السبعينيات من القرن العشرين مثل محمد عبد الوهاب ورياض السنباطى وفريد الأطرش.

أما المرحلة الثالثة: فهى خاصة بشباب الموسيقى العربية الذين تعلموا وتأسسوا على أيادى أعلام الموسيقى العربية وحتى نهايات القرن العشرين.

هذا وقد تمَّ تجميع البيانات من شتى مصادر المعلومات الموثقة (شرائط ـ أسطوانات ـ كتب) الخاصة بهؤلاء الأعلام داخل جمهورية مصر العربية بالإضافة إلى الكتب والأبحاث

التى نشرت عنهم داخل أرجاء الوطن العربى. وتم تشكيل مجموعات عمل داخل كل اتجاه من هذه المصادر التى تنحصر فى المكتبات الموسيقية الموجودة فى المؤسسات المختلفة مثل الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، المعهد العالى للموسيقى العربية، إدارة التنسيق والمكتبات (جهاز الإذاعة)، كلية التربية الموسيقية (جامعة حلوان)، دار الأوبرا المصرية، جمعية المؤلفين والملحنين.

وقد قامت مجموعة تجميع وتوثيق البيانات بالتعاون مع جميع الهيئات والمؤسسات السابقة بتجميع وتدقيق جميع البيانات الخاصة بالمشروع، وقد بذلت مجهودًا كبيرًا فى التوفيق بين المعلومات المتباينة من المصادر المختلفة حتى يخرج هذا العمل فى أكمل صورة.

تحية خاصة إلى كل من شارك فى إخراج هذه السلسلة الموسوعية من أعلام الموسيقى العربية والتى نرجو أن تساهم فى مجهودات الدولة فى الحفاظ على التراث والإرتقاء بالثقافة.

وفى الختام يسرنا أن نتقدم بوافر الشكر والإمتنان لأفراد المركز الذين ساهموا فى إنتاج هذا العمل الذى بين أيدينا وبخاصة الأستاذة إيرينى أنور والأستاذة هبة خضير والمهندسة كريستين ميشيل والأستاذة جيهان أبو بكر والأستاذ مصطفى النادى والأستاذ عبد الفتاح عبد الونيس والأستاذ وسام فوزى والأستاذ غسان زكى والأستاذ ماركو محب والأستاذ ماهر عبد الرحمن.

كذلك نتوجه بالشكر إلى الأستاذ مصطفى موسى لتعاونه في تجميع البيانات وصياغة وكتابة ملخصات الأفلام والروايات والأستاذ وائل وجيه لتعاونه في كتابة المدونات الموسيقية والأستاذة مارسيل وجيه لتعاونها في تجميع البيانات والأستاذ شعبان فتوح في تعاونه لتدوين المدونات الموسيقية على الحاسب الآلي وكذا نشكر الدكتور أحمد يوسف لتعاونه فى تجميع الأعمال والشكر للدكتورة هدى أحمد، والدكتورة خيرية جميل لإمدادهن لنا بعدد من تسجيلات بعض الروايات، وأيضًا الشكر الخاص للأستاذ ماجد علي الكسار لإمداد المركز بالروايات المسرحية الخاصة بالفنان علي الكسار ومن تلحين الفنان زكريا أحمد ونخص بالشكر السيدة تحية أبنة الفنان زكريا أحمد لإمدادها لنا ببعض الصور الشخصية لوالدها.

كما نخص بالشكر مهندس الصوت: المهندس إيهاب نبيل فى مشاركته فى عمل الديجيتال ماستر للأسطوانة الصوتية المرفقة مع هذا الكتاب.

وفى النهاية نتوجه بخالص الشكر والتقدير لذكرى الصديق العزيز الراحل الأستاذ محمود كامل لتعاونه معنا منذ ميلاد هذا المشروع حتى وفاته، كما نذكر الراحل المستشار الدكتور علي فاضل لإمداده لنا ببعض التسجيلات النادرة لزكريا أحمد.

لقد أصبح والحمد لله -نلم توثيق الجوانب المختلفة للتراث حقيقة واقعة. ففى مجال التراث الموسيقى، يُمثل خروج هذه الموسوعة دعوة لكل مهتم بحفظ التراث الموسيقى وتسجيله وتحليله لبذل المزيد من الجهد لاستكمال المسيرة. نأمل أن تمثل سلسلة أعلام الموسيقى العربية خطوة فى الحفاظ على تراثنا الحضارى وإحيائه وخطوة نحو حاضر ومستقبل مشرق بإذن الله.

ا. د. فتحى صالح

مدير مركز توثيق
التراث الحضارى والطبيعى

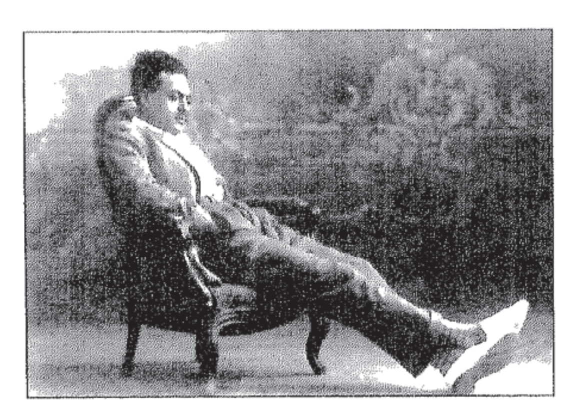
مقدمــة

يُعد هذا الكتاب ثمرة جهد مجموعة مختارة من خبراء الموسيقى العربية وخبراء نظم المعلومات بمركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى، بالإضافة إلى خبراء تجميع وتوثيق المعلومات الفنية الخاصة بأعلام ورواد الموسيقى العربية. ويحتوى هذا الكتاب على استعراض دقيق وأمين مع التحليل المبسط للمشوار الفنى لأحد أعلام الموسيقى العربية وهو شيخ الملحنين زكريا أحمد.

ويتضمن هذا الكتاب خمسة أبواب:

- **الباب الأول...** يحتوى على السيرة الذاتية لزكريا أحمد وفيه يتعرض باختصار إلى نشأته وطفولته وبداية دراسته فى هذا المجال ثم بداية احترافه للموسيقى العربية مع نظرة تحليلية إلى مشواره الفنى.
- **الباب الثانى...** يشمل بيان إنتاج زكريا أحمد مرتبًا ترتيبًا هجائيًا من (أ – ى) لإنتاجه كافة، الغنائى والمسرحى والسينمائى، ليكون دليلًا للوصول إلى تفاصيل بيانات هذا الإنتاج من خلال الباب الثالث.
- **الباب الثالث ...** يتضمن تفاصيل إنتاج زكريا أحمد كافة الغنائى، بالإضافة إلى الأعمال المسرحية والسينمائية، مع تبويب الأعمال الغنائية وفقًا للقالب الخاص بكل منها، موضحًا به مطلع الأغنية، عنوانها، المؤلف، المؤدى، المقام، تاريخ الإنتاج، نصوص الأعمال مع إضافة ملاحظات لأي بيانات أخرى تفيد هذا العمل. يشار أيضا إلى وجود علامة (–) داخل أى حقل، وهذا يعنى أنه لم يتم الحصول على بيانات موثقة لهذه المعلومة حتى تاريخ نشر هذا الكتاب.

- **الباب الرابع** ... يحتوى على الإحصائيات العلمية التى تم الحصول عليها من قاعدة البيانات على الحاسب الآلى الخاصة بالمشروع. وتعتبر هذه الإحصائيات من المعايير المتبعة فى تقييم الأعمال الإبداعية للفنانين.
- **الملحق** ... يحتوى على نماذج من المدونات الموسيقية الغنائية.



البـــاب الأول

شـــيخ الملحنـــين
زكـــريا أحمـــد
الســيرة الذاتيـــة

من رمـوز الغناء العربى، ومن معالـم حيـاتنا المـوسـيقية، وصاحـب مدرسـة أصيلـة فـى التلحيـن وفـى الآداء.

١-١ نشأة وطفولة:

ولد فى حى عريق من أحياء القاهرة، هو حى الحسين، فى اليوم السادس من شهر يناير عام ١٨٩٦ م، من أب بدوى يدعى الشيخ أحمد حسن صقر مرزبان، من قبيلة مرزبان بصحراء الفيوم، وكانت معروفه بشدة البأس، وقوة المراس، وأم تركية من مدينة الأناضول.

أحب زكريا الغناء عن والدته، التى كان صوتها الجميل يترامى إلى أذنيه وهى تدندن الأنغام الحزينة، كلما أحست بحنين إلى أهلها، وكان هذا الصوت يتسلل كالسحر إلى أعماق قلبه، فترسب فى وجدانه وكيانه.

وكان الوالد يؤهل ابنه ليصبح من علماء الدين، فألحقه بكُتَّاب الشيخ (نكله) ثم نقل إلى الأزهر، حيث أتم حفظ القرآن الكريم، كما درس علوم الفقه والنحو والصرف، ثم التحق بمدرسة خليل أغا، وارتدى العمامة والجبة والقفطان، وهو الزى التقليدى للمشايخ.

وكان زكريا يميل إلى الإنشاد الدينى، ثم تعرَّف على أحد شيوخ الإنشاد فى زمانه وهو الشيخ إسماعيل سكر الذى كانت شهرته ملء الأسماع، ووجد فيه الشيخ سكر خامة طيبة، وراح يشجعه، حتى ضمه إلى أفراد بطانته، وحفظ العديد من التواشيح والقصائد الدينية، ثم عمل فى بطانة الشيخ سيد موسى، واستقر مع الشيخ على محمود، وكان يصحبه فى روحاته وغدواته، فشرب منه لطائف بدائعه، ونهل من فيوض فنه.

١-٢ بداية تعليمه الفنى:

من خلال تجويده للقرآن وحفظه للألحان الصوفية، استقامت له اللغة العربية وأحسن مخارج الحروف نطقًا سليمًا لا اعوجاج فيها، وتمكن من روح اللحن العربى.

وأدلى زكريا أحمد بدلوه فى مجال التلحين، وكانت الألحان الدينية أول ما فجَّر فيه طاقته الإبداعية، حيث صاغ بعض التواشيح والقصائد منها، (مولاى كتبت رحمة الناس

عليك)، (حيِّ أرض الحجاز)، (ما شممت الورد إلا زادنى شوقًا إليك) وبلغ عدد ما لحنه ٣٢ توشيحًا وقصيدة غنى له منها أستاذه ومعلمه الشيخ على محمود، قصيدة (يا نسيم الصبا تحمل سلامى) وسجل على اسطوانة بمصاحبته أمير الكمان سامى الشوا.

وظل زكريا أحمد، يعمل قارئا ومنشدًا وملحنًا دينيًا ما يقرب من ثمانية عشر عامًا، وحفلت هذه السنوات بأحلى وأغلى الذكريات، منها أنه دعى لإحياء ليالى شهر رمضان فى منزل أحد الأثرياء بمدينة الإسماعيلية.

وحلا لزكريا أحمد الغناء الدينى، فكان يحرص على التردد على مجالس الطرب والأفراح والليالى الملاح، ليستمع إلى كبار المغنيِّن والمغنيات فى ذلك الزمان، وراح يتعلم أصول هذا الفن وعلومه، من مقامات وإيقاعات موسيقية على يد الشيخ درويش الحريرى الذى كان حجة فى الموسيقى العربية.

١-٣ بداية احترافه الموسيقى:

وفى عام ١٩٢٣م خاض زكريا مجال التلحين الدنيوى، وكانت ألحانه الأولى مجموعة من الطقاطيق الخفيفة، غنتها منيرة المهدية، وتوحيدة، ونعيمة المصرية، وعبد اللطيف البنا، وصالح عبد الحى، استهلها بطقطوقة:

(إرخى الستارة اللى ف ريحنا أحسن جيرانك تجرحنا)

و

(ماتخافش علىَّ دنا واحدة سجوريا).

وكانت هذه الأغنيات سببًا فى فرض الرقابة على الأغانى حيث عُيّن مؤلفها الشيخ محمد يونس القاضى رقيبًا على الأغانى.

وتذكر صفحات التاريخ أن زكريا أحمد قد خاض تجربة المسرح الغنائى مرة واحدة قبل رحيل سيد درويش، وذلك فى عام ١٩١٦م حينما تكونت فرقة مسرحية من طلبة هواة ضمت (حسين رياض وحسن فايق) حيث استعانت الفرقة بزكريا أحمد لتلحين أغانى روايتهم التى عرفت باسم «فقراء نيويورك» .. فقدم لهم ألحانها مجانًا منه .. ثم توقف عن هذا اللون من الألحان إلى أن عاد إليه بعد سنوات معدودات لم تتجاوز العقد من الزمان.

وفى عام ١٩٢٤م عاد زكريا أحمد إلى مجال المسرح مرة أخرى الذى يعتبر أكثر رحابه، وهو المسرح الغنائى، وذلك بعد رحيل فنان الشعب سيد درويش بعام وبضعة شهور وكانت

مشاركته الأولى فى هذا المجال بسبعة ألحان فى رواية (دولة الحظ) التى ألفها الأديب والفنان أمين صدقى، وقدمتها فرقة على الكسار فى اليوم الحادى والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٢٤م، وآخر أعماله المسرحية رواية (عزيزة ويونس) التى كتبها الشاعر محمود بيرم التونسى وقدمتها الفرقة القومية للتمثيل والموسيقى فى اليوم الثالث عشر من شهر يناير ١٩٤٥م وكانت مسارح الأزبكية ومسارح عماد الدين تزهو وتتيه بهذه المسرحيات التى تزخر بأجمل الألحان والأنغام.

واستطاع أن يمثل مكانة مرموقة بين عمالقة المسرح الغنائى أمثال كامل الخلعى، وداود حسنى، وسيد درويش، وكميل شمبير، وابراهيم فوزى.

إن مسرح زكريا أحمد يعتبر امتدادًا لمسيرة سيد درويش من حيث احتوائه على النقد الحقيقى وتصوير الأوضاع الاجتماعية واستخدام اللوحات الخيالية لنقد السلطات .. إنه - إن جاز التعبير - مسرح الإصلاح الاجتماعى والجهاد من أجل الأفضل ..

ويتبقى لشيخ الملحنين فى هذا الجانب تفوقه ومقدرته الفذة وغزارة إنتاجه وغيرها من السمات التى ماتزال ضربًا من ضروب المستحيل على أقرانه ومن سار فى درب الفن حتى يومنا.

١-٤ لقاؤه بأم كلثوم:

وفى إحدى الليالى استرعى نظره فتاة ريفية، تنصت إليه بكل حواسها، وشغف بالغ، وقيل له: إنها أم كلثوم مطربة السيرة النبوية وقارئة القرآن الكريم، جاءت من بلدتها طماى الزهايره مركز السنبلاوين ووالدها الشيخ إبراهيم السيد البلتاجى وشقيقها خالد ليستمعوا إليه، وقدمها إليه والدها، واستمع إليها زكريا أحمد وبهره حُسن استعدادها وذكاءها وجمال صوتها، وقام بتحفيظها موشحًا من موشحاته الدينية وهو (مولاى كتبت رحمة الناس) مقام هزام، وكان هذا اليوم بداية تعارف زكريا على أم كلثوم.

وفى عام ١٩٣١م، بدأت أم كلثوم تعهد لزكريا أحمد بتلحين أغانيها وكان أول ما غنته له طقطوقة (اللى حبك ياهناه) لأحمد رامى استخدم فيها زكريا إيقاع الفالس الراقص المرح، وتوالت الروائع التى غنتها أم كلثوم من أدوار مثل:

(هوه ده يخلص من الله)، (إمتى الهوى)، (آه يا سلام)، (مين اللى قال إن القمر)

ومن طقاطيق مثل:

(جمالك ربنا يزيده)، (العذول فايق ورايق)، (قالو لى إمتى قلبك يطيب)

ومن المونولوجات:

(أهل الهوى)، (حلم)، (الآهات)، (الأمل)

بالإضافة إلى ألحانه فى أفلام أم كلثوم التى بلغ فيها القمة.

وغنت أم كلثوم فى حفلاتها الشهرية الساهرة مجموعة أخرى من الألحان لزكريا أحمد خلال الأربعينيات، ولم تسعد الأجيال الجديدة بسماعها لأن تسجيلاتها غير متاحة، نذكر منها: (أنا وانت انا وانت)، (اكتب لى)، (إيه أسمى الحب)، (كل الأحبة اتنين اتنين)، (فى أوان الورد)، (أنا ليه أتجاسر وأعاتبك)، (ياقلبى ياما تميل بنظره) لبيرم التونسى و(زهر الربيع يرى) لمحمد الأسمر، و(ناسية ودادى وجافيانى)، (بين ذل الهوى وعزة نفسى)، (ياورد ياللى الندى صبح عليك فى السحر) لأحمد رامى.

وظلت أم كلثوم تشدو وتغرد ببدائع زكريا ما يقرب من عشرين عامًا.

وفى نهاية الأربعينيات نشب خلاف بينهما بسبب تنفيذ عقد مبرم بينه وبين الإذاعة ووصل الأمر إلى القضاء، وكان يدافع عن زكريا أحمد، الدكتور/ عبد السلام زهدى ومن بعده الأستاذ/ عبد الرحيم غنيم النائب العام السابق، وعن أم كلثوم الأستاذ / أحمد مختار قطب المحامى، الذى كان يعمل بمكتب مصطفى بك مرعى المحامى.

ونجح فى إقناع الطرفين بالمصالحة وإعادة المياه إلى مجاريها بينهما، القاضى عبد الغفار عيسى، وعاد التعاون بين أم كلثوم وزكريا، وغنت رائعته (هوه صحيح الهوى غلاب) فى يوم الخميس أول ديسمبر ١٩٦٠م، وكانت بذلك آخر ما غنته لبيرم التونسى وزكريا أحمد.

١-٥ شيخ الملحنين:

لم يلقب زكريا أحمد «شيخ الملحنين» لمجرد أنه كان يرتدى زى المشايخ فى أول عهده بالفن، بل ارتبط به هذا الوصف حتى آخر يوم فى حياته مع أنه تخلَّى عن هذا الزى منذ أمد بعيد وسافر إلى باريس، وخلع العمامة والقفطان وعاد مطربشًا وذلك عام ١٩٣٢م بعد اشتراكه فى أول فيلم غنائى مصرى مغنيًا وملحنًا وممثلًا مع أميرة الطرب نادرة.

ولكنه فاز بهذا اللقب لأنه كان بحق وصدق شيخ الموسيقى والموسيقيين وإمام اللحن والملحنين، لإتقانه جميع الألوان المسرحية والعاطفية والحماسية والكوميدية، فقد استطاع أن يبرز معالم الموسيقى العربية الفنية فى ألوانها وأوزانها، فكان له الفضل فى تجديد طابع

الموسيقى العربية حسبنا فى ذلك النجاح والسبق إقبال الجماهير العربية على ألحانه، ويكفى أننا إذا سمعنا الناس فى الأفراح والمناسبات يغنون: (يا صلاة الزين) ويرددون (يا حلاوة الدنيا) فى ابتهاج ومرح بعد مرور أكثر من نصف قرن على تلحينها، فهو أمر يستحق النظر، وهل يرتاب أحد فى أن (الليلة عيد) و(حبيبى يسعد أوقاته) قد أصبحتا تراثًا ليس فنيًا فحسب، وإنما تقليدًا اجتماعيًا قلَّ أن ينجح أحد فى صنع مثله، فقد أصبحت هذه الألحان رمزًا شعبيًا لدرجة أن الناس لا تشعر بمقدم العيد إلا بسماع هذه الألحان مهما تعاقبت السنون، إن ذلك وحده جدير بأن يضع هذا العبقرى فى مقاعد صُنّاع تراث الإنسانية.

١-٦ دوره فى الأغنية السينمائية:

يُعد زكريا أحمد أول من لحن للسينما المصرية فى أول فيلم غنائى مصرى هو (أنشودة الفؤاد)، الذى كتب حواره وكلمات أغانيه شاعر القطرين خليل مطران، وشارك فيه الدكتور زكى مبارك بقصيدة من شعره (يقولون ليلى فى الفراش مريضة ياليتنى كنت الطبيب المداويا) وأخرجه المخرج الإيطالى ماريو فولبى، وقام ببطولته الممثل الكبير جورج أبيض، وعبد الرحمن رشدى المحامى الذى كان أحد أصحاب الفرق المسرحية، والمطربة نادرة التى كانت تلقب بأميرة الطرب، وصورت مناظره فى باريس، وعرض على الشاشة عام ١٩٣٢م.

وفى هذا الفيلم، لحن وغنى ومثل زكريا أحمد، حيث قام بدور (الشرير) وكان مقررًا أن يقوم به الممثل استيفان روستى.

ومن أشهر ألحان هذا الفيلم (آه يا بحر النيل يا غالى) لزكريا أحمد، وقصيدة (يقولون ليلى) تلحين وغناء نادرة وهى من تأليف الدكتور/ زكى مبارك.

وتتابعت الأفلام التى أسهم فيها زكريا أحمد بألحانه، حتى بلغت ما يُقارب الأربعين فيلمًا تلألأ فيها وأشرق حشد كبير من أهل الغناء المصريين والعرب.

١-٧ نظرة تحليلية على مشواره الفنى:

وكان زكريا أحمد يتمتع بحاسة أدبية، وله جهود ومحاولات فى نظم الأغانى التى تمتاز بخفة الظل منها ما غناه بصوته وسجلها على اسطوانات تجارية، من بينها (بدى آجى معاك)، (ليلتنا بيضه)، (نلت المنى بعد هوانى) ومنها ما غناه بعض الأصوات الأخرى. مثل

(طول مانت غايب) غناء زبيدة، (لو كان عذولى)، (ظلمت عيونى ضيعت عمرى) و(ليلتك سعيدة) غناء نعيمة المصرية و(لا تقوللى كانى ولا مانى) غناء فاطمة قدرى و(العين جنت والقلب ساعد) غناء محمد نور الخضيرى والد فارس آلة الناى محمود عفت الخضيرى و(للساعة اتنين) غناء زكى مراد والد الفنانة ليلى مراد والفنان منير مراد، و(قدر ده وده ياما ناس كمالة عدد) غناء صالح عبد الحى.

ولم يكن صوت زكريا أحمد يغلفه الجمال والصفاء، ولكنه كان يملك ما هو أبلغ من جمال الصوت وصفائه، وهو عبقرية الخلق وسحر التصرف وروعة الآداء وعمق الإحساس بالكلمة وربطها بالنغمة، ويذكر انه شارك فى إحياء حفل عيد ميلاد الموسيقار محمد عبد الوهاب يوم ١٣ مارس ١٩٣٤م.

ولم يتأثر زكريا أحمد فى تفكيره الموسيقى ببريق الموسيقى الغربية وآلاتها، ولم يحاول أن يتشبه بالغرب فى أساليبهم الموسيقية، لأنه كان يعتز بعروبته وقوميته، ولم يجرفه تيار التحديث أو الاقتباس.

ويمكن تلخيص مشواره الفنى فى النقاط التالية:

- جدد زكريا فى تلحين قالب الطقطوقة عام ١٩٣٠م وذلك من خلال طقطوقة «اللى حبك يا هناه» لأم كلثوم، فجعل لحنًا للمذهب ثم لحنًا لكل غصن. كما جدد أيضا فى تلحين القصيدة مثل قصيدة «قولى لطيفك ينثنى» لأم كلثوم من فيلم دنانير، حيث نوّع فى ألحانها وفقًا لأحداثها.
- أمكن له إقناع أم كلثوم بالتخلص من الدائرة الضيقة التى كانت تحيط بأغانيها بعد أن كانت مقتنعة بها وتشعر أنها تليق بمكانتها الفنية.
- وهناك تجديدان آخران أدخلهما زكريا على غناء أم كلثوم: أولهما القصة الملحنة مثل «أهل الهوى» والتى لا تزال فى مقدمة ألوان الغناء الشائعة حتى عصرنا هذا. وثانيهما إدخال الجمل الكلامية أثناء غناء اللحن مثل «قوللى ولا تخبيش يا زين» من فيلم سلامة، ويضاف إلى ما سبق الآتى:

١. الملاءمة بين الجملة الموسيقية والوزن العروضى.

٢. مراعاة الدقة لمخارج الحروف.

٣. مراعاة أماكن الوقوف فى اللحن.

٤. حسن استخدام اللزمات والسكتات وكان يذكر فى ذلك «أنا لا أضع اللازمة إلا إذا كان لها لازمة».

٥. إحياء الكثير من الأوزان العربية الغير مستخدمة فى الألحان مثل «بعد ما ضحيت حياتى فى الغرام» - غناها صالح عبد الحى عام ١٩٣٢م، فقد لحنها من مقام الصبا وبدأ بإيقاع نوخت ثم انتقل إلى السماعى الثقيل وأخيرًا إلى السربند.

٦. الجمع بين التطريب والتعبير.

٧. حفظ المضمون وبدَّل فى الأشكال.

٨. تطويره لشكل الطقطوقة فقد أرشد محمد عبد الوهاب ومحمد القصبجى ورياض السنباطى إلى التوسع فى ابتكار أشكال للطقطوقة، حررتهم فى معالجة هذا اللون فى أغنيات الأعمال السينمائية والمسرحية ثم الأغنيات الطويلة.

٩. انفرد بآداء غنائى فريد رغم أن صوته أجش، ولكنه عبقرى امتاز بعناصر مهمة منها تأخير النبر الإيقاعى (سنكوب) والسيطرة المطلقة على إيقاع الكلمة .. كل ذلك جعل معاصريه ومن جاء بعده يحاول تقليد هذا الآداء الفريد.

سيظل زكريا أحمد إلا أن يشاء الله أكثر فنانى الكون من حيث غزارة الإنتاج مع جودته وتفرده، سيظل أحد القلائل فى تاريخ الإنسانية الذين صنعوا تراثًا موسيقيًا أشارت إليه الأيام ببنان التاريخ.

١-٨ نبوغه وعبقريته الموسيقية:

كان زكريا أحمد دائرة معارف فنية، ملمًا بأصول الموسيقى العربية، وخبيرًا فى الضروب والأوزان والإيقاعات الموسيقية، وبارعًا فى صياغة الألحان بمختلف اللهجات البدوية والتونسية والمغربية والريفية و اللبنانية.

وكانت له القدرة والمقدرة على صياغة اللحن الواحد بأكثر من صيغة لحنية، وقد حدث فى فيلم (دنانير) الذى عرض فى ٢٩ سبتمبر ١٩٤٠م أن غنت له أم كلثوم قصيدة (قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الرقاد) بثلاث صيغ لحنيه من ثلاثة مقامات موسيقية مختلفة الأولى هزام، والثانية بياتى، والثالثة صبا، وهذا مما لم يجرؤ عليه أحد من الملحنين المعاصرين.

كما استخدم عدة إيقاعات موسيقية معًا فى بعض ألحانه، منها طقطوقة (بعد ما ضحيت حياتى فى الغرام) غناء كل من المطرب صالح عبد الحى، والمطربة ليلى مراد، فقد صاغ الغصن الأول منه على إيقاع النوخت، المكون من سبع وحدات زمنية، والغصن الثانى على

إيقاع السماعى الثقيل، المكون من عشر وحدات زمنية، الغصن الثالث على إيقاع السربند، المكون من ثلاث وحدات زمنية، مما يؤكد على تعمقه فى أسرار الإيقاعات الموسيقية وخباياها، الشائع منها والنادرعلى السواء.

وفى طقطوقة (تفتن عليك خطوتك) التى لحنها زكريا أحمد لهدى سلطان استعان فيها لأول مرة بإيقاع من إيقاعات الموشحات المركبة وهو إيقاع الظرافات المكون من ثلاث عشرة وحدة زمنية.

١-٩ تقدير وتكريم:

كان لزكريا منهجه الخاص فى التلحين الذى يقوم على الأصالة والتعبير والطرب وكان غيورًا على مقومات ودعائم الموسيقى العربية العريقة ولهذا كان فنه موضع تقدير واحترام، ليس من رجال الفن وحسب، وإنما من أهل الأدب والفكر والمعرفة وكل متذوق أصيل.

وحسبه فى هذا المجال ما وصفته به لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (المجلس الأعلى للثقافة الآن) برئاسة الأديب المفكر والفيلسوف عباس محمود العقاد، حينما اصطفته من بين الفنانين جميعًا لترشيحه لنيل جائزة الدولة التقديرية فى الفنون عن عام ٦٠/ ١٩٦١م وجاء فى مبررات ترشيحه التى أعدتها لجنة الشعر، العبارة التالية:

> «يتحلى الشيخ زكريا أحمد بالروح الفنية الأصيلة التى تنأى عن المطامع المادية والأغراض التجارية، وتحمله على الاعتزاز بكرامته، وكرامة فنه، مما ألحق به كثيرًا من الغبن والجحود».

وقد مُنح وسام الفنون والعلوم فى عيد العلم عام ١٩٦٤م تقديرًا لجهوده فى خدمة الفن.

١-١٠ خاتمة:

كان لزكريا أحمد محبوه ومريدوه، فى مصر والوطن العربى، من مختلف الفئات والطبقات، يلازمونه فى سهراته ولياليه، ويستمتعون بفنه وحديثه الشجى.

وكان زكريا يتصف بالتواضع الجم والكرم وطيب العشرة وحسن الخلق وسماحة وعزة النفس ولطف اللقاء، وعفة اللسان وحفظ الوداد وسرعة الخاطر، وحضور البديهة.

كما كان فى نفس الوقت يتحلى بالصراحة التامة لا يخشى فى الحق لومة لائم.

وقد رحل عن دنيانا، فى اليوم الخامس عشر من شهر فبراير عام ١٩٦١م.

وعقب رحيل زكريا أحمد، تبارى بعض أصدقائه ومحبيه من الأدباء والشعراء فى رثائه، فقال بديع خيرى:

من شوقى للى مر وراح — من عمرى يا زكريا معاك
ما بين هنا وبهجة وأفراح — أحياهـا فنَّـك فى دنيـاك
أنا قلت تحضير الأرواح — يجمعنى بك واسمع نجواك
واتعزى عن همى وارتاح — بحديث وما أحلاه وياك

وقال الأستاذ عبد السلام شهاب:

لمـا نعـوك إلـىّ — نعـوا حيـاتى إلـىّ
إن كـان يرضـيك هذا — رضـيت يـا زكريـا
لكـن يومـك قبلـى — يـوم يعـز علـىّ
يـا ليتنـى كنت ميتـا — وأنـت مازلـت حيّـا

وفى الاحتفال بالذكرى الرابعة لرحيل زكريا أحمد، قال الأستاذ بديع خيرى:

ياللى بكيت على مخلص مات — إبكى على اللى عاش بعده
يرثيه وفى قلبه حسرات — دايما يعكروا فى دمه
ود انحرم أربع سنوات — منه وثابت على عهده
زكريا أحمد عمرى إذا فات — كله ما انساش أنا جهده